مقدمة

شهدت بداية النصف الثاني من القرن العشرين تفجر ثورات اجتماعية عديدة في بلدان العالم الثالث [١] مثل ثورة الصين ١٩٤٩، وثورة مصر ١٩٥٢، وثورة كوبا ١٩٥٨، وثورة بيرو ١٩٦٨ وقد نجح كثير من هذه الثورات بدرجات متفاوتة في احداث تغيرات بنيوية شملت كل نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقد حاولت هذه الثورات أيضا القيام بجهود واسعة في احداث اصلاحات تربوية راديكالية في نظمها التعليمية، تقوم علي تعبئة كل القوي الاجتماعية في استغلال كل المصادر الوطنية المتاحة، وكل الأساليب التعليمية الممكنة، استغلالا منظما وفعالا في تعليم جماهير الشعب خلق نظام تربوي جديد [٢] (R. Poulston 1977 : 6). وقد نجحت جهود الاصلاح في بعض هذه التجارب - كما فشلت في بعضها الآخر - وتفاوتت درجة نجاحها من تجربة الي أخري - في انجاز نظم تربوية جديدة تسهم في تحقيق أهداف الثورة الاجتماعية [٣] : تحقيق المساواة، تحقيق التنمية الاقتصادية، التخلص من التبعية (Seers 1973 : 11). والتفاوت والاختلاف في درجة نجاح أو راديكالية جهود الاصلاح التربوي في هذه التجارب الثورية ، أمر يدعونا إلي دراسة سوسيولوجية الاصلاح التربوي والتغير الاجتماعي في هذه التجارب لفهم وتفسير تحت أي الشروط تنجح جهود الاصلاح التربوي الراديكالي ؟

ان هذه التجارب الثورية تختلف فيما بينها بالضرورة - من حيث طبيعة أو نمط كل منها - فثمة أنماط متعددة للثورة الاجتماعية.

وهنا يمكن افتراض أن كل نمط من أنماط الثورة الاجتماعية ينتج عنه بالضرورة نمط معين من الاصلاح التربوي - متناظر (أو متوافق) معه ومتحدد به. أو بعبارة أخري أدق، فان كل نمط من أنماط التغير الثوري - الناتج عن تجربة ثورية معينة - انما ينطوي علي امكانات بنيوية خاصة به، هي التي تحدد (وتؤثر في) ما ينتج عنه من اصلاحات تربوية راديكالية معينة ومن هنا فان التصدي لفهم وتفسير مسألة " *تحت أي الشروط تتم (أو تنجح) جهود الاصلاح التربوي الراديكالي في المجتمعات الثورية؟* " انما يتطلب أولا، تحديد معني الاصلاح التربوي وارتباطه بمسألة التغير الثوري. ويتطلب ثانيا، تحديد أنماط الثورة الاجتماعية في العالم الثالث. ثم ثالثا، فهم المتغيرات أو الامكانات، أو الشروط البنيوية التي ينطوي عليها كل نمط من أنماط الثورة الاجتماعية - تلك الشروط التي تحدد وتشكل جهود الاصلاح التربوي الراديكالي.

ان دراسة الشروط المحددة لنمو الاصلاح التربوي الراديكالي في المجتمعات الثورية مسألة ينبغي أن تكون لها أهمية خاصة في علم اجتماع التربية المعاصر.

فالعالم الثالث يمر *بأزمة تربوية* " حادة،[٤] تبدو ملامحها الظاهرة في تضخم ميزانيات هذه النظم، وعدم قدرتها عن استيعاب من هم في سن التعليم، وتزايد الأمية بنسب مخيفة، وعدم ملاءمتها مع المناطق الريفية، وانحصارها في انماط تعليمية شكلية قائمة علي الحفظ والتلقين، ثم تدني مستوي كفاءتها باعتبار ارتفاع معدلات

التسرب، وتزايد اعداد طلاب الدراسات النظرية والانسانية. وقد تخبطت جهود الاصلاح التربوي في معظم دول العالم الثالث لتجاوز " الازمة "، لكن دون جدوي، فالأزمة تتفاقم (J.Simmons 1986:3) وتبدو وكأن لا مخرج لها في هذه الدول. بينما نجد في نفس الوقت أن ثمة جهودا في الاصلاح التربوي قد نجحت في تعض تجارب الثورة في العالم الثالث وتجاوزت تلك " الأزمة التربوية " التقليدية التي تعاني منها معظم دول هذا العالم. الأمر الذي يجعلنا في حاجة ملحة الي مزيد من الدراسات في سسيولوجيا الثورة والاصلاح التربوي حتي تساعدنا علي فهم وادراك الظروف أو الشروط الموضوعية التي يتم بها ومن خلالها نجاح جهود الاصلاحات التربوية في العالم الثالث.

ومن بين التجارب الثورية التي نجحت في تقديم اصلاحات تربوية راديكالية عميقة هي تجربة الثورة في كوبا. وقد أجمع كثير من النقاد والدارسين علي أهمية ومغزي الاصلاحات التربوية في كوبا. ولعل دراسة جوانب النجاح وجوانب القصور في جهود الاصلاحات التربوية التي تمت في اطار التغيير الشامل في كوبا ما قد يساعدنا علي الاجابة عن سؤالنا الرئيسي الذي طرحناه منذ البداية : " *تحت أي الشروط تنجح جهود الاصلاح التربوي الراديكالي ؟* ".

تحديد مشكلة الدراسة :

الدراسة الحالية هي دراسة لسسيولجية الثورة والاصلاح التربوي الراديكالي في العالم الثالث. وتهدف الي فهم وتفسير العلاقة بين الثورة والاصلاح التربوي لمعرفة المتغيرات، أو